

الذكاء والتخيّل

الأهداف:

- معرفية : - قيمتي الذكاء والتخيّل ودورهما في الإبداع.
سلوكية : إضفاء السلوك الذكي والإبداعي على السلوك الفطري.
المدة اللازمة : (03) ساعات نظري، ساعتان للتطبيق
المراجع : - 1 - علم النفس جميل صليبا
- 2 - كتاب الفلسفة لطلاب البكالوريا ج I
- 3 - كتاب الفلسفة بجميع فروعها "المغرب"

تصميم الدرس

تمهيد.

1 - مفهوم الذكاء

أ - لغويا، ب - اصطلاحا.

2 - الذكاء بين الفطرة والإكتساب

أ - أنصار الوراثة - مناقشة
ب - أنصار البيئة - مناقشة النتيجة.

3 - مفهوم التخيّل : أنواعه

أ - التخيّل التمثيلي ب - التخيّل الإبداعي.

4 - شروط الإبداع

1 - العوامل النفسية - مناقشة . استنتاج.
2 - العوامل الإجتماعية - مناقشة . استنتاج.

5 - ميادين الإبداع

6 - أسئلة التصحيح الذاتي

7 - أجوبة التصحيح الذاتي.

تمهيد :

رغم التعاريف المتعددة للذكاء إلا أنّ أغلب العلماء والفلاسفة وحتى عامة الناس يتفقون على الصفات التي يتميز بها الشخص الذكي عن غيره، فالشخص الذكي مهما كانت طبيعته (تلميذ، تاجر، فلاح..) يتميز بالسرعة في الفهم والقدرة على التعلم، والحنكة والمهارة في إدارة كل ما يخصه، وحسن التصرف إزاء القضايا والمشاكل التي تعترض سبيله، والقدرة على تخيل الأهداف وتصورها، وعدم القيام بأمر ما - مهما كان - إلا بعد التمعّن والتبصّر في عواقبه أو نتائجه التي قد تنجز عن القيام أو عدم القيام بهذا الفعل أو ذاك.

لقد عمد الفلاسفة إلى تعريف الإنسان بقولهم "إنه حيوان ناطق" مما يجعله يتميز عن الحيوان بالعقل، وأنه كائن ذو أبعاد ثلاث، يعيش ماضيه وحاضره ومستقبله، يستعين بالخبرات والمهارات والتجارب الماضية بالاعتماد على الذاكرة.

1 - ضبط مفهوم الذكاء :

تدل كلمة "ذكاء" في اللغة على سرعة الفهم وحدته، كما تفيد معنى "التمام" الذي هو معناه الأصلي، فالذكاء في السنّ هو تمام السن، والذكاء في الفهم هو تمام الفهم وذكيت النار معناه أتممت إشعالها...إلخ.

ب - المعنى الاصطلاحي للذكاء : الذكاء عند "ابن سينا" هو "قوة الحدس، والحدس هو تمثيل الحدّ الأوسط في ذهن دفعة، أو هو فعل للذهن يستنبط به بذاته الحدّ الأوسط". وهو عند "Claparede" "قدرة الفكر على حلّ المشاكل". وقيل أيضا هو القدرة على القيام بعمليات التفكير المجرد، وقيل هو القدرة على التكيف.

هذه الاختلافات في تعريف الذكاء تعود إلى كونه ليس ملكة ثابتة بل هو عملية معقدة تتدخل فيها عوامل عديدة. كالتفكير والذاكرة، والخيال، وإلى كونه أمر نسبي لا يمكن تعريفه تعريفا تاما.

ولكن إذا كان تعريف الذكاء أمرا صعبا، فإن وصف السلوك الذكي أمر ممكن ومفيد في تسليط الضوء على الذكاء، والسلوك الذكي يتميز بكونه سلوك مبتكر لا يظهر إلا في المواقف الجديدة والمشكلات التي تتجاوز قدرة الغريزة والعادة كما يحدث للمطالب أثناء الامتحان، وكما يحدث للشخص الذي يجد نفسه فجأة أمام مشكلات.

أما الناس الأذكياء فيتميّزون عادة بحدّة الفهم وسرعته، وبالقدرة على حل المشكلات التي تعترضهم، وقد أكد "بينه Pinet" أنّ للذكاء أربع وظائف أساسية هي : الفهم – الاختراع – النقد – التوجيه.

2 – الذكاء بين الفطرة والاكْتساب :

إذا كان الذكاء متفاوتا بين الناس، فهل هذا الاختلاف بينهم يعود إلى عوامل وراثية أم إلى عوامل بيئية؟

أ – أنصار الوراثة : يرجع أنصار الوراثة الذكاء إلى عوامل الوراثة، وأن البيئة لا دخل لها في ذلك. فالوراثة هي المسؤولة عن الفروق الفردية بين الأفراد في القدرات العقلية، والبيئة لا تستطيع أن تغيّر ما يولد به الإنسان من جينات تحدّد ذكاءه وقدراته وصفاته الأخرى، وقد أجرى "كلودبيرنار" أبحاثا لاحظ من خلالها التشابه الكبير بين ذكاء الآباء وذكاء الأبناء، هذا التشابه لا يوجد بين الأفراد الذين تنعدم بينهم صلة القرابة، وأن التوائم التي تنتج من بويضة واحدة مخصّبة تكون لها وراثة واحدة، أي ذكاء واحد تقريبا، فالذكاء يتحدد بمجرد اتحاد الحيوان المنوي بالبويضة، فيكون الذكي هو صاحب الجينات الحسنة، والغبي هو صاحب الجينات السيئة.

مناقشة :

لكن كون الوراثة قدرة أو صفة لا يعني استحالة تغيّرها، لأنّ الوراثي يختلف عن الفطري، فإذا كانت البيئة لا تستطيع أن تتحكم في الفطري، فإنها قادرة على أن تحدّد من عيوب الوراثة، وقد أثبتت التجربة العلمية أن التوأمين اللذين نتجا عن بويضة واحدة إذا ما غيّرنا لها المناخ أو الوسط فإن ذكاءهما يختلف بالضرورة، فلو احتفظنا مثلا بعامل الوراثة ثابتا عند توأم معين، وغيّرنا ظروف أخيه وفق شروط معينة كأن نعلّمه السباحة، فإن ذكاءه يزداد عن ذكاء أخيه، وهذا ما يؤكد دور البيئة والتربية في تنمية الذكاء.

ب – أنصار البيئة : يرى أنصار البيئة أن الذكاء قدرة مكتسبة، ولا دخل للوراثة في ذلك فالبيئة الصالحة والتربية الصالحة والتغذية الصالحة ذات التأثير السيكولوجي – البيولوجي تنجب الأذكياء والبيئة الفاسدة والتربية الفاسدة والتغذية الفاسدة تنجب الأغبياء، وقد دلت التجارب أن الأطفال الذين حرّموا من أمهاتهم يعانون نقصا في الذكاء كما أثبتت الدراسة التي قام بها مالك نعمان" أن نسبة الذكاء عند الأطفال

الذين يعمل آباؤهم في مهن راقية تكون أعلى بكثير من نسبة الذكاء عند الأطفال الذين يعمل آباؤهم في مهن أقل راقيا".

مناقشة :

إنّ تفاوت الذكاء والقدرات العقلية لا يمكن إرجاعه إلى المجتمع أو التربية اختلاف الذكاء بين التوام ذي التربية الواحدة والتغذية الواحدة؟ ثم كيف نفسّر اختلاف الذكاء في البيئة الواحدة نفسها؟

النتيجة :

نستنتج مما سبق أن الوراثة أكثر تأثيرا في الذكاء، وأن التربية لها أثر طفيف، فالذكاء لا ينمو إلا بالتربية التي تقويه وتنميّه وتوجهه، وتدريب الفرد على حسن استخدامه.

3 – ضبط مفهوم التّخيّل :

عندما تقوم بعمل ما فأنت لا تعتمد على ما ندركه في المجال الإدراكي الراهن، بل تستند أيضا إلى ما تتصوره وراء هذا العمل، وما تتوقع ظهوره من نتائج بعد الانتهاء منه، ويمكنك أيضا أن تستعيد صوراً ماضية لأشياء ومواقف مرّت بك دون أن تربط ذلك بزمان أو مكان معيّنين.

وبوسعك أن ترى عصناً في غصن شجرة، أو سكيناً في قطعة حديد، أو قميصاً في قطعة قماش، وبوسعك أن تتعامل مع رموز رياضية مجردة، وأن تضع فرضيات ميتافيزيقية لتفسير بعض الظواهر أو التصرفات ... إلخ كل هذه العمليات هي التي نسمّيها "التخيّل".

فالتخيّل لا يعني الأجسام والأوهام كما يعتقد العامة، وإنما نشير به كما قال ابن سينا إلى "قدرة العقل على التصرف في الصور بالتحليل والتركيب".

كما تضع مخيلة الفنان فيما يشاهده من حوادث ومناظر في الطبيعة، ثم ينقلها على لوحاته لا كما رآها ولكن كما أحسّها وشعر بها. فيجسّمها في آيات رائعة جذابة ولذلك قيل : "التخيّل هو قدرة العقل على استحضار الصور بعد غياب الأشياء التي أحدثتها وتركيبها تركيباً جديداً" وقال لالاند Lalande : "التخيّل ملكة تركيب شيء لا واقعياً ولا موجوداً".

وهكذا فالتخيّل هو تلك العملية التي يقوم فيها الذهن بإنشاء علاقات جديدة بين عناصر الخبرة السابقة، وينظّمها تنظيماً جديداً، يؤدي إلى إنشاء صور وأشكال جديدة وهو نوعان :

أ - التخيّل التمثيلي : إنه ذاكرة بلا عرفان، أو هما كما قيل : "مجرّد رجوع الصور النفسية إلى ساحة الشعور، لأن الصورة هي بقاء الإحساس في النفس بعد غياب المؤثر، أو هي ذكرى الإحساس فإذا استرجاع الإنسان صورة جبل أو نهر يتصوّر، كانتا هذه العملية تخيلاً تمثيلاً، لأن الخيال يعيد ما حفظته النفس، ويبقى فيها بعد غياب المحسوسات، إذن فهو يقتصر على استرجاع الصور المحفوظة في النفس، وهو يختلف عن التذكر، لأن التذكر استرجاع للخبرة الماضية مع تحديدها في الزمان والمكان".

ب - التخيّل الإبداعي : هو الخيال الحقيقي، وهو عبارة عن عملية يقوم بها العقل لاستحضار الصور الماضية ثم يركب هذه الصور بعضها على بعض، ويستخرج منها نماذج جديدة، فالرسم يرسم بريشته صورة خيالية يراها في أعماق نفسه، فهو لم يسترجع صورة بسيطة محفوظة في النفس من قبل، بل ركب بعض ما في هذه الصور البسيطة إلى بعض فالف منها صوراً جديدة لم تكن موجودة من قبل عن طريق التأمل للصور الماضية واكتشاف علاقات جديدة تمكنه من إبداع الصور الجديدة.

4 - شروط الإبداع :

يخضع إبداع لعوامل نفسية وعوامل اجتماعية، تؤثر في الحياة الانفعالية - الكبت القوى اللاشعورية - تأثيراً قوياً في الإبداع، لأنّ الإنسان لا يتمرد ويثور على العادات القديمة، ولا يتحرر من الصور والعادات والتقاليد البالية إلا إذا تألم منها، وتولد فيه الرغبة في الابتعاد عنها، وإن فلو لا رغبة الإنسان في البقاء، والحاجة إلى مختلف عوامل البقاء كالغذاء والسكن، والرغبة في الدفاع عن النفس بهدف ضمان الاستمرارية، كما اخترع مختلف الأدوات والوسائل والأسلحة ومختلف المعدات الحربية التي تمكنه من توسيع نطاق الحياة، فالحاجة أو الرغبة أو النزعة هي التي تدفع إلى الإبداع ولهذا قيل "الحاجة أم الاختراع" وقد لخص "ريبو" الحياة الانفعالية بالاختراع في القانون التالي:

1 - جميع عناصر الاختراع مصحوبة بعناصر انفعالية

2 - إن جميع الاستعدادات الانفعالية تؤثر في الإبداع، ويرى "سيغموند فرويد" أن التفكير المبدع يستمد مادته من الأوهام والمثل التي لها علاقة بأحلام اليقظة والطفولة ففي الحالة التي تصبح العمليات اللاشعورية منسجمة مع الذات يتاح للفرد الفوز بالكمال الحاضر، أي أن اللاشعورية عنده منبع للإبداع.

مناقشة :

يتضح مما سبق أن التحليل النفسي بالغ في إهمال مختلف العوامل والجوانب الأخرى، وأعطى أهمية للآشعور، واعتبره العامل الأساسي والوحيد في عملية الإبداع، متجاهلاً ما ذهبت إليه مدرسة الجشطالت التي ترى أن الإبداع قدرة على إعادة تنظيم وتركيب الموقفلرؤية الأقسام الجزئية في ترابطها وارتباطها بكيان كلي أما "كوبي" فقد انتقد اللاشعور، فالآشعور في رؤية هو طي للإبداع. ومدرسة (الترابط) التي ترى أن الإبداع هذو ارتباط الأفكار الجديدة بالقديمة، حتى وإن كان هذا يضيق من مجال الإبداع.

ب - العوامل الاجتماعية :

ترى المدرسة الاجتماعية أن الإبداع وليد مختلف القيم والمعايير الاجتماعية وتعتبرها الشرط الأساسي والعامل الأصلي للإبداع، لأن المسائل التي يريد المخترع أو المبدع معالجتها لا تتولد إلا في الوسط الاجتماعي، فالمبدع لا يوجد منفصلاً عن عادات وتقاليد وقيم ومعايير المجتمع الذي يعيش فيه، فهو إنسان يعيش في بيئة ذات طبيعة اجتماعية، ويستدلون على ذلك بقولهم : - إن كل مرحلة تاريخية تتميز بمجموعة من المعايير الجمالية التي تطبع المجالات النفسية إذن فالإبداع واقعة حضارية وليست فردية في رأي الاجتماعيين.

مناقشة :

لقد بالغت المدرسة الاجتماعية في إهمالها لمختلف العوامل المساعدة في الإبداع ثورة على الأوضاع القديمة، والمجتمع يقف إزاءها موقف سلبي فالمجتمع الحديث كالمجتمع البدائي يرفض كل جديد، والفنان غالباً يتمرد على القيم الاجتماعية ليدع قيماً أخرى يفرضها على المجتمع، والإبداع نفسه يعني التجديد والتطوير إذن فإبداع ليس مجرد انعكاس لهذه القيم والمعايير وحدها.

الاستنتاج :

إن الإبداع لا يمكن ربطه بالعوامل النفسية وحدها، ولا بالعوامل الاجتماعية ومدّها، فهو يرتبط بالعاملين معاً، فالعوامل الاجتماعية ومدّها، فهو يرتبط بالعاملين معاً، فالعوامل الاجتماعية والنفسية تؤثر في العمل الإبداعي وتوجهه

5 – ميادين الإبداع :

لا يتوقف الإبداع على مجال معيّن، وإنما نجد الإبداع في مختلف المجالات كالعلم والفلسفة والفن والتقنية والسياسة، فكل ما تنتجه يد الإنسان وفكره سواء كان عاملاً فنياً أو نظرية فلسفية أو علمية أو اقتصادية أو علاقة رياضية أو فيزيائية أو كيميائية أو موسيقى كل هذه إبداعات إذا توفّرت بعض الشروط مثل الأصالة النسبية، التكيف مع الحقيقة والواقع.

6 – أسئلة التصحيح الذاتي :

1 – نصّ المقالة :

إذا كان من شرط الذكاء أن يؤدي إلى الإبداع، فكيف يكون ذلك؟

7 - أجوبة التصحيح الذاتي :

قبل الإشكالية عليك أن تحدّد دلالة الألفاظ والمصطلحات لإدراك العلاقة بينهما، ثم تحديد وظيفة أداة الاستفهام وبهذه الكيفية تتوصّل إلى معرفة الطريقة التي تعالج بها المقالة

الذكاء : القدرة على الفهم والتعلّم وحسن التصرف.

يؤدي : يؤول إلى

الشرط : العامل الأساسي أو الضروري أو الكافي.

كيف : تطلب وصف الظاهرة.

الإبداع : كل ما يختلف عن المألوف أو المعتاد.

استنتاج الطريقة ⇐ استقصائية التحرير

1) المقدمة (الإشكال) :

إن السؤال يدعو إلى التفكير في وظيفة الذكاء وقيّمته، والبحث عن حقيقته التي تتمثل في الاختراع والتطوير في مختلف المجالات والميادين، وهنا تكمن قيمة الذكاء الذي يؤدي إلى الإبداع باستمرار. فالأذكىاء هم الذين يدفعون عجلة التطور بفضل ما يبدعون ويخترعون، هذه الأعمال أصبحت ميزة ومقياسا على الذكاء، ومادام الناس يتفاوتون فيما بينهم كأفراد أو جماعات، فإن أعمالهم وتفكيرهم غير متساوية القيمة، سواء كانت هذه القيمة أخلاقية أو معرفية أو نفعية إلخ. إذن فالذكي هو المتفوق ذهنيا، فهل الذكاء يعني التفوق؟ وهل هذا التفوق يؤدي إلى الإبداع؟

2 - التحليل :

أ - طبيعة الذكاء : يختلف الناس في سلوكهم، وتختلف قيمة أعمالهم في جانبها الاجتماعي لأنها تتأثر بالظروف، فإذا قارنا بين سلوك فردين أو حتى جماعتين. لاحظنا هذا الاختلاف أو الفرق الذي قد يكون كبيرات أحيانا، يعود إلى مختلف التأثيرات التي كان من الضروري التكيف معها، لذلك يشعر بدافع إلى تعديل السلوك قصد ضمان استمراره والمحافظة على وجوده، هذه السلوكيات والتصرفات المتنوعة ترتبط بعوامل ذاتية وأخرى موضوعية.

إن الفروق الفردية بين الناس قائمة سواء كانت هذه الفروق فطرية أم مكتسبة، أي أن الناس يتفاوتون في القدرة على الفهم والتحصيل المعرفة وكيفية استخدامها، وفي مختلف أنماط التكيف الاجتماعي.

على الرغم من اختلاف العلماء من تعريفهم للذكاء إلا أنهم يتفقون جميعاً على أنه يعني سرعة الفهم، وإيجاد الحلول للمشاكل المعقدة، والقدرة على التمييز بين الأشياء وإدراك العلاقات المجردة، إضافة إلى الابتكار والنجاح في الحياة.

ب - وجود الذكاء :

نستطيع القول أن الحيوانات في بعض أفعالها تتفوق على الإنسان في الميزات والخصائص السابقة، فهي تعكس نماذج رائعة الجمال، رغم أنها تستخدم إمكانيات بسيطة، لكن هذه القدرة العجيبة موجودة لديها بالفطرة، غير أن غرائز الإنسان محدودة مقارنة بالحيوان، وهذا ما دفع به إلى تنمية القدرات واستحداث الوسائل والطرق لمواجهة الحياة، بالتعلم والاستفادة من خبرات وتجارب ومهارات ماضية، فتميّزت أفعاله بالتنوع والتجدد.

إذن فالخبرات والممارسة الماضية يتفاعلان قصد التحصيل والتكيف، سعياً وراء ما ينفعه واجتناب ما يضره، فالإنسان أضعف المخلوقات وأكثرها حاجة إلى الرعاية بالتعلم والتربية حتى يضمن حياته.

نستنتج أن "الغريزة مضادة للذكاء" ويدل معناه أنه لا يمكن قيام الذكاء إلا بضعف الغريزة غذن فالعلاقة بينهما علاقة عكسية.

لقد أدى تنوع السلوك لدى الإنسان إلى نشوء الحضارات وتطور الثقافات، ورغم ذلك لازال يرغب في التحرر من مختلف القيود والعوائق.

ج - قيمة الذكاء :

من الواضح أن الفرق بين الذكي والبليد يكمن في الفرق بين درجات الذكاء بينهم فالذين يحققون الإبداع والابتكار في مختلف مجالات الحياة. يلفتون انتباه الغير إلى مواهبهم، ولهذا فالسلوك الذي يرفع من قيمة الإنسان، ويساعده على تحقيق الغايات والأهداف هو السلوك الذكي، والتاريخ لا يدع مجالاً للشك بأن الإبداع والابتكار هما السمة الأكثر معقوليّة للدلالة على الإنسانية وعليه فالذكاء يعدّ العامل الحيوي الأساسي للنجاح في أي مجال من مجالات الحياة.

3 - الخاتمة :

مهما تعددت واختلفت تعاريف الذكاء إلا أنها تلتقي فيما بينها بعلاقة تداخل، فالقدرة على التفكير المجرد تساعد على التحصيل العلمي والمعرفي، وعلى الإستبصار، وهي كلّها تساعد على التكيف، فهو قدرة ذهنية فطرية ومكتسبة، تساعد على الفهم والابتكار والنقد والتوجيه.

اللغة والتواصل

الأهداف :

- 1 - المعرفية : معرفة طبيعة اللّغة ووظائفها.
- 2 - الهدف : استعمال اللّغة كوسيلة للتواصل.
- المدة اللاّزمة : (03) ساعات نظري، (02) ساعتان تطبيقي.
- المراجع :

- 1 - الفلسفة لطلاب البكالوريا ج I
- 2 - علم النفس جميل صليبا.
- 3 - الفلسفة لطلاب البكالوريا بجميع فروعها. المغرب.
- 4 - كتاب الفلسفة السنة السابعة ثانوي ج I - العراق.

تصميم الدرس

تمهيد

- 1 - مفهوم اللّغة.
 - 2 - اللّغة كنسق رمزي - علاقة الدّال بالمدلول.
 - 3 - الدّلالة وأنواعها :
- أ - الدلالة الطبيعية. ب - الدلالة الوضعية. ج - الدلالة العقلية. د - صور الدلالة.
- 4 - اللّغة والفكر.
- أ - الاتجاه الثنائي - ب - الاتجاه الواحدى. استنتاج.
- 5 - وظائف اللغة : - من اللغة الطبيعية إلى اللغة المنطقية
- أ - اللغة الطبيعية الفطرية - ب - اللغة المنطقية.
- 6 - أسئلة التصحيح الذاتي.
 - 7 - أجوبة التصحيح الذاتي.

تمهيد :

يعتبر الإنسان البدائي أول من أوجد الصيغة اللغوية في تعامله مع المحيط البسيط، الذي يتميز ببعض العلاقات الاجتماعية السائدة في ذلك الوقت فاللغة الناتجة عن التفاعل بين الإنسان البدائي والطبيعة العذراء لغة تمتاز بالبساطة، وتعبر عن مفاهيم متميزة عن الأشياء التي تعبر عنها، وهنا تكمن عملية التجريد، التي تختص الإنسان، دون غيره من الكائنات الحية بهذه الملكة التصورية التي هي أساس وظائف عمليات خلق المفاهيم، ومن هنا يكون إطلاق كلمة " لغة " عند حديثنا عن الحيوان استعمالا في غير محله لما فيه من التجاوز والمبالغة، لأنه من المستحيل إثبات وجود خصائص اللغة الإنسانية عند الحيوان، إذن اللغة تتطور بتطور الواقع أن كل شعب إنما يحلّل الواقع من خلال اللغة التي ينطق بها، وعلى هذا فالشعب يرث خبرات وتجارب سابقه ويترك بدوره للأجيال اللاحقة أساليب وطرقا في كيفية التعامل والنظر إلى الوجود.

إنّ اللغة مهما كانت لا تشكّل كيأنا مستقلاً بذاته، وإنما هي عملية للتبليغ والتواصل ممكنة نظرياً وعملياً، وخير دليل على ذلك عملية الترجمة. عن كتاب علم النفس اللغوي للدكتور حنفي بن عيسى (بتصرف)

1 - تعريف اللغة :

يعرفها " لالاند Lalande " بقوله : " كلّ نسق من الإشارات يمكن أن يستعمل للتواصل ".

ويمكن أن نعطي اللغة تعريفاً آخر منقول : " إنها تلك القابلية التي يتوفر عليها الإنسان لاختراع واستخدام الرموز بكيفية متعدّدة ". وبهذا المعنى تكون اللغة خاصة بالإنسان دون غيره من الكائنات الأخرى.

2 - اللغة كنسق رمزي :

يعبر الحيوان عن انشغالاته بواسطة الأصوات، غير أنّ هذه الأصوات والإشارات التي يستخدمها الحيوان تبقى مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالموضوع الذي تعبر عنه، في

حين تعبر اللغة الإنسانية عن مواقف متعدّدة ومختلفة، لأنها رموز مكتسبة، اتفقت عليها الجماعة وأصبحت مرتبطة بحياتها وبطريقتها في التفكير، يقول " برغسون Bergson " .

1859 - 1941 " إن الرمز الغريزي يتميز بالتماسك في حين يتميز الرمز الذكي بنوع من الحركية " واللغة لا تعني الكلام كما هو شائع لدى العامة، لأن الكلام صفة للفعل وهو إنتاج أصوات لها معنى، أما اللغة فهي بناء من المعرفة متمثل في الأذهان، ولذلك عرفها " لالاند " 1867 - 1963 بقوله : "هي كلّ نسق رمزي من الإشارات، يمكن أن يستعمل للتواصل " .

هذا التعريف رغم اتساعه وشموليته حتى للغة الحيوان إلا أنه يؤكد أن اللغة منظومة من الإشارات والرموز التي يستخدمها الإنسان للتعبير عن أغراضه، وتحقيق التواصل بينه وبين غيره من الأفراد.

**ولكن ماهي علاقة الدال بالمدلول ؟
أو علاقة اللفظ بالمعنى ؟**

علاقة الدال بالمدلول :

اعتقد بعض المفكرين أن التلازم القائم بين اللفظ والمعنى تلازم طبيعي معتمدين في ذلك على تلك الألفاظ المحاكية للطبيعة.

لكن عالم اللغة السويسري " فرد يناند دوسوسير F. De Saussure ، نفى أن يكون هناك أي تلازم ذاتي بين اللفظ والمعنى، إذ أننا لانجد أية علاقة بين العناصر الصوتية لكلمات ومعانيها، فكلمة " أب " ليس فيها ما يدل مباشرة وبصفة طبيعية على معنى " الأب " بل معناها يظهر من خلال العلاقات المختلفة الموجودة بين مدلول هذه الكلمة ومدلولات أخرى مرتبطة بها مثل مدلولات : الأم - الأخ - الأخت - البنت.

وهذا معناه أن العلاقة بين الدال والمدلول ليست علاقة طبيعية، بل هي علاقة تحكمية مصطنعة أو جدها الإنسان بالتواضع والاختيار وصارت بحكم التكرار والتعود تبدو وكأنها طبيعية.

3- الدلالة وأنواعها :

1 - الدلالة الطبيعية :

وهي دلالة الأشياء الموجودة في الطبيعة، والتي لاعلاقة لها بالإنسان فالدخان دلالة على وجود النار، وينطبق هذا كذلك على مختلف الآثار الإنسانية التي خلقها الانسان أو الحيوان وكذلك حالات الطقس، كل هذه دلالات لم يصنعها، والعلاقة بين الدال والمدلول في هذه الحالة ضرورة حتمية.

2 - الدلالة الوضعية :

وهي تلك الدلالات التي وضعها الناس، واصطلحوا عليها فيما بينهم، وقد تناول اللغويون أصل الدلالة والعلاقة بين الدال والمدلول، واتفقوا على أن اللغة ذات دلالة وضعية.

3 - الدلالة العقلية :

وتعني أن الارتباط بين الدال والمدلول هو ارتباط عقلي. فاللفظ يكون دالاً والمعنى مدلولاً، ويتم هذا الارتباط وفق صور وهي :

1 - دلالة المطابقة :

وهي دلالة اللفظ على تمام المعنى، كدلالة لفظ " إنسان " على تمام معنى الإنسان وهو الحيوان الناطق.

2 - دلالة التضمن :

وهي تشير إلى دلالة اللفظ على جزء من أجزاء المعنى، كدلالة لفظ الإنسان للفظ الحيوان.

3 - دلالة الالتزام :

وهي دلالة اللفظ على معنى آخر ملازم له كدلالة " السقف " على الجدران، ذلك أن الحديث عن (السقف) يستلزم الجدران، حيث لا نستطيع تصور " السقف " بدون جدران، يقوم عليها هذا السقف.

4 - اللغة والفكر :

إن علاقة اللغة بالفكر هي علاقة تبدو واضحة في هذا العصر، فاللغة كما يرى المناطق أداة الفكر ووسيلته، وهذا يعني أن زوال اللغة يعني زوال الفكر أو على الأقل ترديّه إلى الدرجات الدنيا، فإذا كانت سعة اللغة ودقتها دليل على سعة الفكر وغناه ودقته، فإن الإشكال الذي يطرح نفسه هو : أيهما أسبق الفكر أم اللغة ؟

أ - الاتجاه الثنائي :

يذهب الحدسيون " برغسون " إلى القول أن الفكر متقدم على اللغة لعدم التناسب بين الأفكار والألفاظ، فالإنسان غالبا ما يتوقف عن الحديث أو الكتابة بحثا عن اللفظ المناسب للتعبير عن أفكاره، ثم أن اللفظ لا يعبر إلا على ماتعارف عليه الناس، وتبقى الكثير من الأفكار صعب التعبير

عنها. زيادة على أن الفكر متّصل، بينما الألفاظ منفصلة، ذلك أن تحليل الألفاظ، لا يؤدي إلى بلوغ الغاية أو القصد، واللفظ لا يدل الأعلى ناحية واحدة من نواحي الفكر.

مناقشة :

إذا سلّمنا بما ذهب إليه معنى الحدسيون، فهل يمكن لنا أن نتخيّل صورًا لا معنى لها (إسمٌ مثلا) ؟

صحيح أن الإنسان أحيانا يتوقف بل يعجز عن التعبير عما يريده، لكنّ هذا لا يعني استقلالية الفكر عن اللّغة أو أسبقية الفكر عنها.

ب - الاتجاه الواحدي :

يذهب فلاسفة اللغة إلى القول أن اللغة هي الوعاء الذي تصب فيه الأفكار فالتجارب تدل على أن الطفل يتعلم الألفاظ ويردّها قبل أن يعرف معناها، وهذا يعني أنه يردد الكلمات قبل الأفكار، يقول " كوندياك " : " المعاني المجرّدة تتولد من الحواس، ومعنى ذلك أن كل فكرة أو صورة أصلها اللفظ أو الإسم الذي تلقيناه بواسطة الحواس " .

مناقشة :

لو كان الفكر سجين اللغة كما يدّعون، فلماذا لا تكون أفكارنا واحدة، مادامت اللغة واحدة ؟ ثم أن الطفل يتعلم التفكير في الوقت الذي، يتعلم فيه الألفاظ والكلمات. وهذا يبدي الارتباط الواضح بين اللغة والتفكير عندما يصل الفرد مرحلة من النّضج، فنطلب منه التفكير باللغة التي يفهمها والأفكار ترد في الذهن، وهي معلقة باللغة، فالفكر عبارة عن حوار أو لغة داخلية، يقول " ميرلوبونتي " " إن الأفكار التي نظنها منفصلة عن اللغة، ماهي إلا أفكار سبق أن تكوّنت وعبرنا عنها ونعيدها على أنفسنا في صمت يجعلنا نعتقد أن أفكارنا متميّزه عن اللغة التي نعبر بها عن هذه الأفكار " .

استنتاج :

ليس هناك وحدة عضوية بين اللغة والفكر، وإن كان هناك تداخل بينهما، إلاّ إنّنا نلاحظ تفاوتًا بين اللغة والفكر، يؤكد عدم التناسب بين القدرة على الفهم والقدرة على التبليغ.

أما أسبقية اللغة عن الفكر فهي أسبقية منطقية لازمانية، واللغة ليست مجرد إطار خارجي للفكر، لأنها تحتوي على عنصر عقلي، بل هي وظيفة عقلية، أو هي نشاط عقلي رمزي، يمارس بواسطة أعضاء تقوم بوظائف أخرى غير اللغة، كالتنفس بالنسبة للأنف، والهضم بالنسبة للأسنان، والتذوق بالنسبة للسان.

5 - وظائف اللغة :

يمكن القول أن اللغة تؤدي وظائف ثلاث هي :

أ - التواصل وتبادل الخبرات :

اللغة وسيلة اتصال وتفاهم بين الأفراد، فكلما زادت الثروة اللغوية للفرد أو الجماعة إلاً وازدادت العلاقة قوة ومتانة، وعلى هذا فاللغة تعكس حضارة المجتمع التي لا يمكن فهمها إلا بعد فهم لغة المجتمع، فهي التي تدون خبرات ومهارات وتجارب الأمم والجماعات والأفراد.

التعبير عن الأصالة والشخصية :

إن اللغة هي المرآة التي تعكس شخصية الفرد أو الأمة أو الجماعة، وتبين مختلف السمات والخصائص ونقاط القوة والضعف التي تؤثر في الغير، ويمكن ملاحظة ذلك لدى الفنانين والسياسيين وغيرهم.

التعبير عن الحقيقة :

من خلال إدراكنا للعلاقة بين اللغة والفكر يتضح لنا أن اللغة هي الوسيلة الحقيقية التي يستعملها الإنسان لإبراز الأفكار بصورة واضحة صحيحة، ولا تقتصر وظيفتها على هذا فقط، وإنما تتعدى إلى أبعد من ذلك فهي وسيلة هامة تؤدي دوراً حتى أثناء التفكير الصامت، وهي الأداة في معرفة الحقائق وإبرازها والتعبير عنها لغوياً بطرق عديدة، فنحن نستعمل اللغة في مجالات عديدة، الكتابة، المناقشة الجدل .. الإشارة ... للتعبير عن الدال والمدلول.

من اللغة الطبيعية إلى اللغة المنطقية :

ينقل الإنسان عواطفه وأحاسيسه ومشاعره إلى الغير باللغة، فهي أداة التعبير والتواصل، ولكن هذا التعبير يتخذ أشكالاً متعددة فقد يكون بالإشارات أو الصراخ...

أ - اللغة الطبيعية الفطرية :

وهي التي يتم فيها التعبير بالحركات أو الحمرة والصفرة التي تصحب الهيجان، أو الصراخ من اللذة أو الألم، وهذا نجده عند من يعيشون على الفطرة، ويشترك كذلك الحيوان مع الإنسان في اللغة الفطرية في حالات عديدة كالجوع والعطش والخوف، لكن الميزة التي يتصف بها الإنسان وهي أنه لا يكتفى بهذه اللغة الطبيعية الفطرية وإنما يتعداها إلى اللغة التي تمكنه من التعبير عن الأفكار والآراء وهي اللغة الاصطلاحية المنطقية.

ب - اللغة المنطقية :

وهي اللغة التي يستعملها الإنسان في مختلف العمليات العقلية، وأنواع التفكير العلمي، والفلسفي وغيره، وهي أداة التعامل بين الناس في العالم الإنساني الحقيقي، هذه اللغة لا تقتصر على الجانب البيولوجي الضروري للحياة وإنما تستعمل للتعبير عن الشيء سواء كان ماديا أم روحيا، وللتعبير عن ذلك تستعمل إما المفردات اللغوية (إسم، فعل...) وإما المفردات المنطقية التي لاتدل على الشيء ذاته وإنما يستعمل العقل للاستعانة بها في فهم العلاقات والروابط بين الألفاظ كفكرة (الكم أي العدد) وفكرة (كيف أي الحالة) وغير ذلك كأدوات الاستفهام، فهي لا تعبر عن معنى في ذاتها، وإنما تستعمل للاستعانة بها والتعبير عن بعض المفاهيم المجردة.

6 - أسئلة التصحيح الذاتي :

6 - 1 - وضح فيم يتجلى تأثير اللغة في الفكر.

ب - نص : اللغة ميزة الإنسان.

ثم أنه يمكن أيضا معرفة الفرق بين الإنسان والحيوان إذ من الملاحظ أنه ليس في الناس ولا أستثني البلهاء منهم، من هم في الغبابة والبلادة بحيث يعجزون عن ترتيب الألفاظ المختلفة بعضها مع بعض، وعن تأليف كلام منها يعبرون به عن أفكارهم، في حين أنه لا يوجد حيوان يستطيع أن يفعل ذلك مهما يكن كاملا، وظروف نشأته مواتية، وهذا لا ينشأ عن نقص في أعضاء الحيوانات لأنك تجد اللقلق والببغاء يستطيعان أن ينطقا ببعض الألفاظ مثلنا، ولكنك لا تجدهما قادرين مثلنا على الكلام، أعني كلاما يشهد بأنهما يعيان مايقولان، في حين أن الناس الذين ولدوا صمًا بكمًا، وحرّموا من الأعضاء التي يستخدمها غيرهم للكلام، كحرمان

الحيوانات أو أكثر، قد اعتادوا أن يخترعوا من تلقاء أنفسهم إشارات يفهمها من يجد الفرصة الكافية لتعلم لغتهم، لوجوده باستمرار معهم، وهذا لا يدل على أن الحيوان أقلّ عقلا من الإنسان فحسب، بل يدل على أنه لا عقل له البتة، لأننا نرى أن معرفة الكلام لا تستلزم إلاّ القليل من العقل، ولما كان من الملاحظ أن بين أفراد النوع الواحد من الحيوان تباينا كتباين أفراد الإنسان وأن بعضها أيسر تدريباً من بعض، كان من البعيد عن التصديق أن قروداً أو ببغاء من أكمل أفراد نوعه لا يساوي في ذلك أغبى طفل، أو على الأقل طفلاً مضطرب المخ، إلاّ إذا كانت نفس الحيوان من طبيعة مغايرة كل المغايرة لطبيعة نفوسنا، فيجب علينا إذن أن لا نخلط بين الكلام والحركات الطبيعية التي تدل على الانفعال، التي يمكن للآلات أن تقلدها، كما تقلدها الحيوانات ولا أن نعتقد مع بعض الأقدمين، أن الحيوانات تتكلم، وإن كنا لانفهم لغتها، لأنه لو كان ذلك صحيحاً لكانت في استطاعتها أيضاً، ما دام لها كثير من الأعضاء المشابهة لأعضائنا، أن تفهمنا ما يختلج في صدورها كما تفهم وأبناء جنسها. روني ديكارت (مقالة الطريقة).

ترجمة جميل صليبا ص 184 - 186.

أسئلة :

- 1 - ماهي الإشكالية التي يثيرها النص ؟
- 2 - ينفي ديكارت وجود لغة لدى الحيوان ماهي حججه في ذلك ؟
- 3 - ألا يمكن اعتبار الحركات الطبيعية لغة ؟
- 4 - هل أن الأصم الأبكم فاقد للغة ؟
- 5 - بأي معنى يمكن القول أن الإنسان ينفرد بالكلام ؟

7 - أجوبة التصحيح الذاتي :

سنحاول باختصار الوقوف على مدى تأثير اللغة على الفكر إن إشكالية تأثير اللغة على الفكر لاجدال فيها، ولكن فيم يتجلى هذا التأثير ؟

أ - اللغة وسيلة ضرورية لتحليل الأفكار :

إن تحليل الأفكار وتجسيدها والتعبير عنها يتطلب تحليل هذه الأفكار إلى عناصرها الأولية التي تتكون منها، ذلك أن الفكرة هي مجموعة هذه العناصر، وفي غياب اللغة تبقى الفكرة دون تحليل.

ب - اللغة أداة تحديد الأفكار :

اللغة أداة تقوم بتحديد الأفكار وترتيبها مع إمكانية التقديم والتأخير في عناصر الفكرة.

ج - اللغة وسيلة لنشر الأفكار :

اللغة أداة لنقل الأفكار من جهة إلى جهة أخرى، ومن شخص إلى آخر إذن فهي أداة للتواصل ونقل المهارات والخبرات والتجارب.

6 - 2 - نظرًا لسهولة النص ووضوحه ندعوك إلى قراءته بتأن، والإجابة عن الأسئلة بدقة.